مجلة العلوم الإنسانية العربية
المجلد (٤) العدد (٣)
الإصدار الرابع عشر
٢٠٢٣ (٣٢٥-٣١٤)

الدينامية الحضرية للمدن المتوسطة وإشكالية الاندماج الحضري حالة مدينة بنجرير

This work is licensed under a Creative Commons Attribution-NonCommercial 4.0 International License.

حبيبي مينة
*طالبة باحثة، جامعة سيدي محمد بن عبد الله، **المغرب***

نشر إلكترونياً بتاريخ: ٢ نوفمبر ٢٠٢٣م

الملخص

تحاول هذه الورقة البحثية الإجابة عن سؤال الاندماج الحضري بمدينة بنجرير باعتبارها مدينة متوسطة تعرف دينامية حضرية متواصلة ديموغرافيا وعمرانيا، وذلك منذ ترقيتها عاصمة لإقليم الرحامنة سنة 2009 للنهوض في تأطير محيطها الإقليمي والجهوي، وقد تقوى المشهد العمراني بإنجاز مشروع المدينة الخضراء محمد السادس، المشروع الرائد على المستوى الإفريقي الذي أعطي انطلاقته سنة 2012، ببنية تحتية ملائمة وفضاءات إيكولوجية، مما ساهم في ارتفاع حركة التعمير بالمدينة، ورغم ذلك يبقى المشهد الحضري في كليته يفتقد إلى الاندماج بين المدينة القائمة- مدينة بنجرير- والمدينة الخضراء.

الكلمات المفتاحية: المدينة المتوسطة، الاندماج الحضري، المدينة الخضراء.

Abstract

This research paper attempts to answer the question of urban integration in the city of Benguerir as a medium city that knows the continuous urban dynamics demography and architecture, since its promotion as the capital of the province of Rhamna in 2009 to improve the framing of its regional and regional environment, and may strengthen the urban scene with the completion of the project of the green city Mohammed VI. The pilot project at the African level, which was launched in 2012, with adequate infrastructure and ecological spaces, which contributed to the rise of the reconstruction movement in the city, yet the urban scene in its entirety, lacks

integration between the existing city - the city of Benguerir - and the green city.

Keywords: The middle city, urban integration, the green city.

*** مقدمة**

المؤكد أن الدينامية الحضرية للمدن المتوسطة أصبحت تطرح قضايا تفرض نفسها بحدة في تطوير وتنمية هذه المدن، فيظل بذلك سؤال الاندماج الحضري بين مكونات هذه المدن أبرز إشكالية تستحق التناول والدراسة، لاسيما أن البعض منها بدأ يعرف في السنوات الأخيرة تدخلات عدة تهدف تجاوز الإكراهات والأعطاب، وتسعى لكسب رهان التنمية المستدامة. وتعتبر المدن الخضراء من بين أهم المشاريع التي عرفها هذا النوع من المدن في إطار الجهود من أجل الرفع من تنافسيتها وجاذبيتها الحضرية كباقي المدن العالمية. ولهذا فقد أضحت المدن الخضراء مقاربة شاملة للتنمية الحضرية بكل أبعادها، تمزج بين الحداثة والتنمية المستدامة وبمواصفات عالمية.

*** إشكالية الدراسة**

تعد مدينة بن جرير، بحكم تاريخها وخصائص موقعها وإمكانياتها الاقتصادية المهمة، من المدن المتوسطة التي عرفت دينامية حضرية متميزة على المستوى الديموغرافي والعمراني والاقتصادي منذ ترقيتها لعاصمة لإقليم الرحامنة سنة 2009، وذلك بعدما كانت تابعة لإقليم قلعة السراغنة، حيث تم انجاز مرافق عمومية ومشاريع اجتماعية واقتصادية وبيئية بهدف تحويلها لقطب حضري واعد إقليميا وجهويا ووطنيا سيحتل فيه مشروع المدينة الخضراء محمد السادس أحد المختبرات المراهن عليها لتحقيق التنمية الحضرية المستدامة.

ومع ذلك، لا يمكن اغفال أن الوضع التنموي بالمدينة يعكس مفارقات كبيرة بين التطور الحضري ومستوى التنمية الاجتماعية والاقتصادية بها.

*** أهداف الدراسة**

١- التعرف على مفهوم المدينة المتوسطة والمدينة الخضراء؛

٢- رصد بعض عوامل دينامية مدينة بن جرير؛

٣- تحديد بعض إشكاليات الاندماج الحضري بين المدينة القائمة والمدينة الخضراء.

*** أسئلة الدراسة**

١- ما مدى استفادة مدينة بن جرير من وجود المدينة الخضراء محمد السادس؟

٢- هل ساهمت في اندماج المشهد الحضري بالمدينة القائمة؟

٣- ماهي أهم الاختلالات المجالية التي تعرفها مدينة بن جرير؟

ولمقاربة هذه الإشكالية اعتمدنا على المنهج الوصفي التحليلي الذي مكننا من الوقوف على جوانب من التمايزات الواضحة بين المدينتين مجاليا وعلى مستوى وثائق التعمير، وفي هذا الإطار قد قمنا بتعبئة 120 استمارة ميدانية بعينة عشوائية.

*** أهمية الدراسة**

تكمن أهمية هذه الدراسة في ندرة الأبحاث الأكاديمية بالجامعات المغربية التي تناولت موضوع الاندماج الحضري في المدن المتوسطة التي عرفت إنجازا لمشاريع المدن الخضراء، ولهذا نعتبر أن هذا الموضوع له راهنيته ويستحق الدراسة، وذلك للكشف على بعض الإشكاليات التي يعرفها المجال الحضري لتلك المدن.

١- المفاهيم المهيكلة

أ- المدينة المتوسطة: لابد من الإشارة للغموض الذي يكتنف هذا المفهوم، فليس هناك تعريف موحد يكون مرجعا لكل البلدان. وعلى هذا الأساس، لابد من الإشارة إلى أن مفهوم المدن المتوسطة عالميا يختلف من دولة إلى أخرى، حيث غالبا ما يتم تحديد هذا الصنف من المدن بالاعتماد على الحجم السكاني.

فحسب **M. Michel** يبدأ هذا الحجم من عشرين إلى خمسين ألف نسمة، وينتهي عند عشرة الاف نسمة إلى حدود عشرون آلف نسمة، وفي هذا الصدد يؤكد أن هذا الصنف من المدن يتغير من إحصاء إلى آخر، مما يطرح مشكلة الحدود الديموغرافية التعسفية التي تجعل من الممكن استبعاد أو تضمين المدن في فئة معينة وفقا لمعايير الحجم الصارمة (santamaria,2000,p.5)، واعتبارا لمعيار عدد السكان، فالمدينة المتوسطة في تونس يتراوح سكانها بين خمسة آلاف وعشرة آلاف نسمة، أما المدن الصغيرة فتنحصر بين خمسة آلاف وخمسين ألف نسمة (Kasdallah ,2013 ,p.23). أما المغرب فإن طبقة المدن المتوسطة كما حددها معظم الذين يتعاملون مع القضايا الحضرية تتكون من المناطق التي يعيش فيها ما بين خمسين آلف وعشرة آلاف نسمة، وبذلك يمكننا أن نقول أن وضع حدود حجم السكان كمعيار لتحديد المدينة المتوسطة هو شكل من أشكال الاختزال الإحصائي في محاولة لتحديد المفهوم الغامض لهذه المدينة، ويبقى مع ذلك حجم السكان المستوى الأول من التعريف (Lakhal ,2013 ,p51).

إن غموض التعريف الإحصائي للمدينة المتوسطة يخفي النطاق الحقيقي لمعياره الكمي، إنه مؤشر على حقيقة أخرى، وزن هذه المجموعة من المدن في التسلسل الهرمي الحضري والدور الذي يمكن أن تلعبه، وذلك من خلال القوة الجاذبة لها واستقطابها للمجموعات المحيطة، وفي هذا الإطار، يقدم **R. BRUNET** الجغرافي الفرنسي طريقة مثيرة لتعريف المدينة المتوسطة على أنها "كائن حقيقي غير معروف "، فهذه الصيغة لها معنى دقيق للغاية، إذ ينطلق الكائن الحقيقي من واقع لا جدال فيه أن هذه المدينة تقع في الوسط بين المراكز الحضرية التي تخدمهم والعاصمة ، وغير محدد لأن التعريفات يمكن أن تختلف اختلافا كبيرا اعتمادا على سياق الدراسة (santamaria,2014, p.25). وفي السياق نفسه، يقول عمر بلهادي "إنه نظرا للدور الذي توفره المدينة المتوسطة كمدينة مركزية فإنها توفر الوساطة بين المستوى الأعلى للنظام الحضري الذي تتمثل وظيفته في القيادة التي توجد بالمدن الكبيرة من جهة والمراكز الجهوية والإقليمية من جهة أخرى" (Kasdallah ,2013,p.27) .

ومن كل التعاريف السابقة يظهر أنه لا يمكن الاعتماد على الحجم السكاني لتحديد المدينة المتوسطة لاختلافه من دولة إلى أخرى ومن إحصاء إلى آخر، ولهذا انصب اهتمام الباحثين إلى دور الوساطة الذي يمكن أن تلعبها هذه المدينة داخل الهرم الحضري، وذلك من خلال الوظائف التي تقدمها للمدن الكبيرة والصغيرة والمجالات المجاورة لها. وفي هذا الإطار يعرض **Brunet R.** في مقاله **villes moyennes point de vue géographique** لتحديد الحد الأقصى لسكان المدن

المتوسطة الذي يساوي 100000 نسمة، بالإضافة إلى دور مجالي متميز يأخذ انشغالات سكان المدينة وما جاورها من مدن صغيرة وأرياف فيما يخص بعض الوظائف (قابوش، 2005، ص 217). كذلك تعتبر مدينة متوسطة، كل المراكز الحضرية الموجودة خارج المناطق الزراعية، تحتوي على الخدمات والمرافق التي تساعدها على تنمية نفسها، وتخدم التجمعات الريفية المجاورة لها، كونها تعمل بمثابة مراكز للنمو (أبو رمان، والعاني، 2005، ص 99-100).

ب- الاندماج الحضري: ارتبط مفهوم الاندماج بالعديد من الحقول المعرفية، إذ يعرف من خلال علم الاجتماع على أنه مجموعة من التفاعلات بين عناصر مختلفة داخل مجموعة ما، وهو ما يؤدي إلى إحساسها بضرورة التماثل والانسجام فيما بينها بآليات وطرائق مختلفة ومتنوعة، ومن وجهة نظر علم النفس الاجتماعي فإن الاندماج يتم التعبير عنه من خلال مختلف التفاعلات بين مختلف عناصر مجموعة ما، الشيء الذي يؤدي إلى الإحساس بالانتماء إليها (غازي، ومدلول،2018، ص 77). وعموما كلا التعريفين يؤكدان على أن مفهوم الاندماج يقتضي التفاعل والارتباط بين مختلف العناصر المكونة للنظام.

أما الاندماج الحضري فيتم تطبيقه على المجال الحضري بكل أبعاده، إنه يقوم في إحدى صيغه على إدماج الوظائف السكنية والترفيهية والنقل ووظيفة العمل، بحيث يمكن إيجاد تكامل وتراكب في نفس المجال، وبهذا تمتزج في المجال الواحد التجهيزات المختلفة مما يؤدي إلى القضاء على التقسيم الوظيفي للمجال، أما إدماجه في النسيج الحضري فيعني" مجموعة من الإجراءات التي تمكن من ضمان الاستمرارية العمرانية؛ بحيث لا نلاحظ أي تقاطع بين النسيج العمراني القديم والحديث" (بن غالية، وبلفتحي، 2017، ص 29).

وانطلاقا مما سبق، يرتبط مفهوم الاندماج الحضري بكل الإجراءات والاستراتيجيات التي تعمل على إضافة جسم حضري جديد إلى نسيج المدينة القائم، لتحقيق الانسجام والتماسك الحضري والاجتماعي، وفي تصورنا أن المدن الخضراء من أهم هذه الاستراتيجيات التي أصبحت تطبق في العديد من البلدان وفي أهم المدن بها، لمعالجة الاختلالات المجالية التي تعرفها، ومواجهة التحديات البيئية. وهو ما يثير لدينا بعض الأسئلة: هل جميع المدن تتوفر على مناخ مناسب لاستقبال مثل هذه المشاريع؟ وهل يمكن تطبيقها على كل المدن لاسيما المتوسطة منها؟

ج- المدينة الخضراء: من الصعب إيجاد تعريف للمدينة الخضراء حيث لا يوجد نموذج ملموس، فقد جاءت فكرة المدينة الخضراء لتطوير البيئة الحضرية بطريقة مدروسة ومخططة من أجل التخفيف من تداعيات تدهور البيئة، فحسب **Heijden** المدينة الخضراء هي مفهوم عالمي يتضمن أفكار حول النقل والصحة والإسكان والتخطيط الحضري والطاقة والتنمية الاقتصادية والعدالة الاجتماعية (Mallet ,2012 ,p. 3).

كما تعد المدينة الخضراء كيان يشمل السكان وتأثيراتهم البيئية، كما أنها نظام فرعي من النظم البيئية التي تعد المدينة جزءا منها، ونظاما فرعيا أيضا للنظام الاقتصادي الجهوي والوطني والعالمي، وهي مدينة تسعى جاهدة للتخفيف من آثار البيئة وتقليل النفايات والانبعاثات وزيادة كثافة المساكن، مع توسيع الأماكن العامة وتشجيع تنمية المشاريع

المحلية المستدامة، إذ يستمد هذا المفهوم قوة إضافية من قدرته على تحسين التنمية الجيدة في عصر يتميز بعدم اليقين والعولمة وتفشي التحضر وتغير المناخ (scarwell & Leducq ,2018,p.4)

ومن كل ما سبق، لم يعد مفهوم المدينة الخضراء يختزل هدفه في التخفيف من تأثير البيئة، وإنما أصبح نهجا شاملا يدمج كل أبعاد التنمية المستدامة، يأخذ بعين الاعتبار ما هو اجتماعي واقتصادي وبيئي. وباعتبارها كيانا حضريا جديدا تم إضافته إلى النسيج الحضري القائم في مختلف الدول كمقاربة للتنمية الحضرية المستدامة، فإن الأمر يستدعي أن تساهم هذه المدن في عملية الاندماج الحضري لكل مكونات المدينة، بين ما هو قائم وما سيقوم.

٢- مدينة بن جرير الموقع والموضع والعوامل المتحكمة في ديناميتها الحضرية

تقع مدينة ابن جرير في المنطقة الوسطى للمملكة وبالضبط في جهة مراكش-آسفي، وهي جماعة حضرية منذ سنة 1992، وتبلغ مساحتها حوالي 25 كلم مربع، كما تبعد عن قلعة السراغنة ب 54 كلم، واليوسفية ب 52 كلم، وعن مراكش ب 70 كلم، كما تبعد عن الدار البيضاء ب 165 كلم. وهي بذلك تحتل موقعا استراتيجيا يتحكم في شمال المملكة بجنوبها من خلال الطريق الوطنية رقم 9، وكذلك من خلال شبكة السكة الحديدية التي تربط مراكش بشمال المملكة، دون ان ننسى خط ابن جرير- آسفي عبر اليوسفية الذي يقوم بنقل الفوسفاط من المنطقة الى موانئ التصدير والتصنيع كما يقوم ايضا بنقل المسافرين.

خريطة رقم 1: توطين مجال الدراسة جهويا وإقليميا

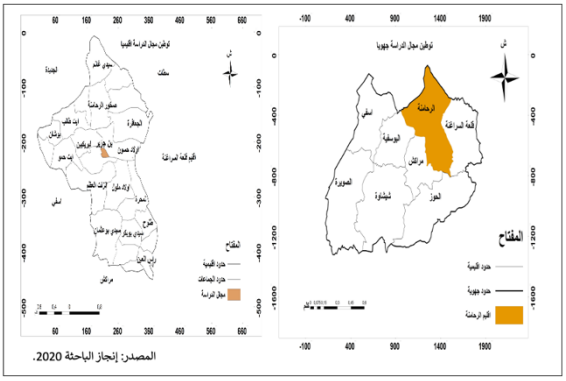

المصدر: إنجاز الباحثة 2020.

تتحكم في دينامية المدن المتوسطة مجموعة من العوامل المساعدة على نمو عدد سكانها وتوسع مجالها الحضري وتطورها السوسيو اقتصادي.

أ- العامل الديموغرافي ودينامية المدينة.

إن اللافت للنظر أن المدن المتوسطة أصبحت لها مكانة متميزة على الصعيد الوطني والجهوي والاقليمي، فعدد سكان هذه المدن يناهز 60 مدينة تتراوح ساكنتها بين 50 ألفا و400 ألفا نسمة، حيث يضم مجموعها 6,7 مليون نسمة أي ما يمثل 33% من سكان حواضر المغرب، وتوجد غالبية هذه المدن أساسا في المناطق الداخلية، كما يشكل بعضها الآخر مدنا فلكية لمتروبول الدار البيضاء-الرباط سلا، وعلى الساحلين الأطلسي والمتوسطي.

الجدول رقم1: تطور عدد سكان المدن المتوسطة بجهة مراكش اسفي مابين سنة 1971و2014

السنوات	مدينة قلعة السراغنة	مدينة بنجرير	مدينة اليوسفية
1971	17163	6971	22435
1982	33358	22354	42195
1994	51404	47080	64441
2004	68253	62872	64518
2014	95224	88662	67628

المصدر: الإحصاء العام للسكان والسكنى، المفتشية السامية للتخطيط.

وتأكيدا لما سبق يبدو من خلال الجدول، أن المدن المتوسطة بجهة مراكش آسفي تعرف جميعها تزايدا ديموغرافيا مع وجود بعض الاختلافات الطفيفة بين هذه المدن، إلا أن ما يجب التنبيه إليه أن هناك دينامية متميزة على صعيد الجهة تساهم فيها هذه المدن. سجلت مدينة بن جرير في مختلف الإحصاءات السكانية تزايدا سكانيا كمدينة فوسفاطية، وهي الملاحظة التي يمكن تسجيلها بالنسبة لمدينة قلعة السراغنة، إلا أن مدينة اليوسفية على الرغم من احتلالها موقعا استراتيجيا يشبه مكانة مدينة بن جرير فهي تعرف بطئا واضحا، إذ انتقل عدد سكانها من 64441 في إحصاء 1994 إلى 67628 في إحصاء 2014. وفي ضوء ما سبق يمكن القول إن مدينة بن جرير على غرار المدن المتوسطة شهدت نقلة ديموغرافية لافتة بدأت تظهر بوادرها مع احصاء سنة 1982.

الجدول رقم 2: تطور عدد سكان بن جرير من 1960 الى 2014

السنوات	عدد السكان	معدل النمو السنوي%
1960	4324	–
1971	6971	–
1982	22354	–
1994	47080	1,96
2004	62872	2,9
2014	88662	3,45

المصدر: الاحصاء العام للسكان والسكنى، المفتشية السامية للتخطيط

يتضح جليا من خلال الجدول، أن المدينة عرفت تطورا ديموغرافيا حيث تضاعف عدد سكانها بعشرين مرة، وذلك ما بين 1960 إلى 2014، إذ انتقل من 4325 إلى 88662 نسمة، وتتجلى جاذبيتها الديموغرافية في ارتفاع معدل النمو السنوي ب 3,5 % ما بين 2004 و2014، وهو أعلى معدل بالمقارنة مع المعدل المسجل بين 1994 و2004 الذي كان 2,9 %، وأعلى من المعدل المسجل في الفترة ما بين 1994 و1982 الذي سجل 1,96 %.

وعليه فإن هذا التزايد يمكن إرجاعه إلى جملة من الأسباب بحسب ما نتج عن الاستمارة الميدانية إلى الطفرة التنموية التي عرفتها المدينة في السنوات الأخيرة بالنظر إلى أهميتها الاقتصادية. وتأكيدا لما سبق فمن أجل دعم هذا التزايد الديموغرافي الذي تعرفه المدينة سيكون من الضروري توقع احتياجات هذا العدد الاضافي من السكان على مستوى التجهيزات الأساسية والمرافق العمومية خاصة بالنسيج الحضري القديم.

ب– الترقية الإدارية وتعزيز دينامية المدينة

كان للترقية الإدارية لمدينة بن جرير إلى رتبة عاصمة الإقليم سنة 2009، تأثير لا يمكن إنكاره، إذ أعطى دفعة

قوية للديناميات الاجتماعية والديموغرافية وتحسين صورة المدينة، وبذلك اكتسبت المدينة وظيفة إدارية جديدة في منطقة نفوذها، مما أدى إلى تحسين موقعها داخل النظام الاقليمي لجهة مراكش آسفي.

وغني عن القول، أن المدينة قبل ترقيتها كانت عبارة عن تكتل ريفي كبير على الرغم من وضعها كجماعة حضرية، تعاني من ضعف الجاذبية الديموغرافية وضعف الاحتفاظ بالسكان، نظرا لوجود عجز كبير في الاستفادة من المرافق والخدمات الاساسية. ومع ذلك فقد تمكنت في وقت قياسي بعد ترقيتها من تدارك التأخير الذي تعاني منه (البنية التحتية، التجهيزات، المرافق العمومية ...) والتنافس مع مدن من نفس الرتبة، سيما مدينة قلعة السراغنة التي تمت ترقيتها منذ الثمانينات.

٣- الدينامية الحضرية للمدينة وصعوبة اندماج مشهدها الحضري

تكتسي وثائق التعمير أهمية بالغة في مسلسل التنمية، بالنظر إلى الأدوار التي تلعبها في تأهيل المجال الحضري، إذ يسعى إلى تنظيم المجال وتهيئته وخلق مجالات مندمجة ومتناسقة ومحفزة على التنمية الاقتصادية والاجتماعية. إلا أن هذه الوثائق تعتريها صعوبات جمة، تجعلها عاجزة عن تحقيق أهدافها.

أ- عدم انسجام التخطيط العمراني: الفصل بين المدينة الخضراء ومدينة بن جرير

قبل الحديث عن الصعوبات التي تعرفها وسائل التخطيط العمراني في خلق مشهد حضري مندمج، سنسلط الضوء على المدينة الخضراء محمد السادس من خلال هذه الوثائق لابأس أن نشير في هذا الإطار، إلى أن قطاع التعمير يسعى إلى تحقيق التنمية الترابية، وذلك عن طريق الدور الذي يلعبه في تنظيم وتأهيل المدن، وجعلها مجالا ملائما لتحقيق الاندماج الاقتصادي والاجتماعي، وفضاءات لتحقيق التماسك الاجتماعي، ولاسيما أننا نتحدث عن تصميم التهيئة الذي يعد وثيقة مرجعية وقانونية تهدف إلى تنظيم المدينة وتأهيل فضاءاتها انسجاما مع التوسع العمراني .وحتى نكون أكثر واقعية، فإن تصميم تهيئة مدينة بن جرير الذي تمت المصادقة عليه في سنة 2015، جاء في أفق احتواء التوسع العمراني الذي تعرفه المدينة والاستجابة في نفس الوقت لحاجياتها، والجدير بالإشارة أن هذه الوثيقة تزامنت مع إنشاء المدينة الخضراء محمد السادس التي انطلقت الأشغال بها سنة 2012.

صورة رقم 1: مشروع المدينة الخضراء محمد السادس

المصدر: الوكالة الحضرية لقلعة السراغنة 2020

ومن الإنصاف القول إن هذا المشروع يعد الأول من نوعه في القارة الافريقية الذي يمزج بين الحداثة والتنمية المستدامة، فهو يتوفر على بنيات تحتية ملائمة وفضاء إيكولوجي وحياة اجتماعية منظمة في نسيج حضري عصري بمعايير دولية، تم إطلاقه في سنة 2009 من طرف جلالة الملك محمد السادس، بوصفه جزءا من مشاريع التطوير الرئيسة

للمجمع الشريف للفوسفاط، يهدف إلى ترسيخ مكانته كمركز جامعي عالمي.

الصورة رقم 2: المشهد الحضري للمدينة الخضراء في وثائق التعمير

المصدر: الوكالة الحضرية لقلعة السراغنة 2020.

يقع المشروع في موقع مثالي جنوب مدينة بن جرير عند تقاطع محور الطريق السريع الدار البيضاء \مراكش، ومحور التقاطع الطرقي مراكش \ بني ملال، والذي يقام على مساحة 1000 هكتار، إذ يتكون من: (Projet De La Ville Verte Mohamed VI)

جامعة محمد السادس للفنون التطبيقية (الشطر الاول تم افتتاحه سنة 2013، كلية الادارة الصناعية)؛ المدرسة الثانوية للتميز (تم افتتاحها سنة 2015)؛ إقامات للطلاب (الافتتاح في اكتوبر 2013)؛ مركز التدريب الصناعي (الافتتاح في 2014)؛ وحدة سكنية تضم 25000؛ مساحات خضراء (200 هكتار)؛ مرافق رياضية وترفيهية؛ مستشفى ومصحة؛ تجهيزات للقرب؛ منشآت سياحية؛ مرافق جماعية؛ دار الثقافة وسينما.

وتتطور المدينة الخضراء على قاعدة مركزية: جامعة محمد السادس للفنون التطبيقية. وهي جامعة خاصة ستكون مركزا للمعرفة والبحث والتدريب للمنطقة وللمغرب؛ حيث تظهر توجها قويا نحو البلدان الصاعدة، كما ستشرع في إنشاء شبكة مع الجامعات المغربية؛ إذ تعد رافعة اجتماعية حقيقية للشباب المغربي والأجانب، فهي توفر بيئة معيشية جذابة من خلال إنشاء منطقة سكنية بمساحة 23 هكتار تضم مائة فيلا ومراكز ترفيهية وتجارة القرب ومجموعة مدرسية، كما تستوعب الجامعة 12000 طالب ويشرف عليها 800 أستاذ وباحث.

في اعتقادنا أن حركة التمدين التي عرفتها مدينة بن جرير، قد ساهمت في تعميق الفوارق الاجتماعية، وبروز تمايزات سوسيو مجالية، يعكسها بوضوح، وفق ما يبدو، القصور الكبير الذي تتميز به وثائق التعمير. وانطلاقا مما سبق، ومن خلال مكونات تصميم التهيئة، يظهر أن هناك بعض الاختلالات التي تؤكد ما أشرنا إليه بخصوص التمايزات الكبيرة التي تعيشها هذه المدينة على وجه الخصوص، بالمقارنة مع المدينة الخضراء التي تتوفر على مواصفات عالمية.

فالملاحظ أن التصميم يضم مفتاحين، الأول خاص بمدينة بن جرير، والآخر خاص بالمدينة الخضراء، وكأننا أمام مدينتين مختلفين في مدار حضري واحد، بل أكثر من ذلك وجود بعض التكرار الواضح للتجهيزات الأساسية والمجال

المبني، إلى جانب أن كل مكونات المدينة الخضراء لا توجد في المفتاح، والملاحظة نفسها بالنسبة للحاضرة الفوسفاطية، وهذا ما لا نجده في باقي تصاميم التهيئة للمدن الأخرى، مما يجعلنا نضع عدد من علامات الاستفهام: ما الفائدة من وضع هاذين المفتاحين؟ هل استطاعت بذلك المدينة الخضراء أن تندمج في المجال الحضري ككل؟ هل استفادت المدينة من وجود المدينة الخضراء؟ هل المسؤولون يدركون هذا التمايز بين المدينتين؟ كيف سيتحقق الاندماج بين هاتين المدينتين ولاسيما أن الكل يتحدث عن المدينة الذكية؟

خريطة رقم 2: تصميم التهيئة لمدينة بن جرير 2015

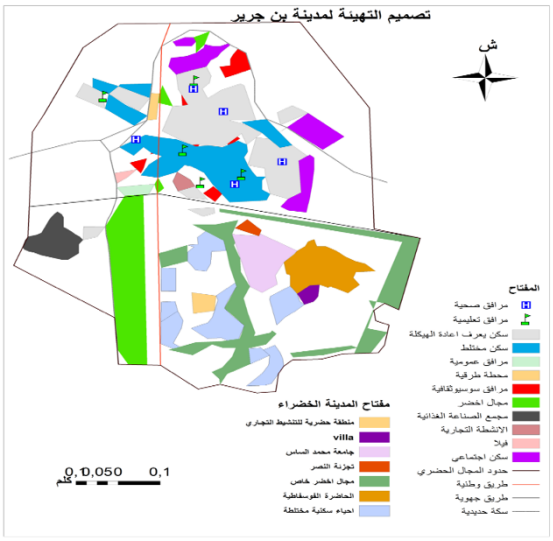

المصدر: الوكالة الحضرية لقلعة السراغنة 2020 – إنجاز شخصي.

*** المشهد الحضري: تمايزات مجالية واضحة**

في ظل التحولات التي عرفتها مدينة بن جرير، أصبح المجال الحضري يعرف العديد من المشاكل، إذ تشكل اليوم تحديات حقيقية أمام المتدخلين في إعداد التراب، تتعلق أساسا برداءة البنية التحتية وهشاشتها، إلى جانب النقص الملحوظ في المرافق العمومية وضعف خدماتها، إضافة إلى عدم انسجام المشهد العمراني الذي مازال يعاني من انتشار مظاهر الترييف.

*** بنية تحتية رديئة وهشة**

جدير بالإشارة إلى أن مدينة ابن جرير قد تميزت عبر التاريخ بقربها من أهم المحاور الطرقية التي تربط شمال المغرب بجنوبه، من خلال الطريق الوطنية رقم 9 والطريق السيار الدار بيضاء مراكش. وإن كانت هذه الشبكة لقيت اهتماما من لدن الفاعلين المعنيين، فإن المسالك الطرقية داخل المدينة خاصة بالأزقة تؤثر بشكل سلبي على مشهد المدينة الحضري وتضعف من الولوجية الجغرافية للاستفادة من المرافق العمومية.

صورة رقم 3: رداءة الازقة بحي الشعيبات

المصدر: التقاط شخصي 2020.

والصورة تبين بكل وضوح الحالة الرديئة التي توجد عليها المسالك الطرقية، وانطلاقا من معاينتنا الميدانية، فإن هذا المشهد يتكرر في جل الأحياء الناقصة التجهيز، والتي تعرف إعادة الهيكلة منذ 2009. ولهذا يعتبر 60 % من المستجوبين بأن أهم المشاكل التي تعرفها تتعلق بهشاشة البنية التحتية، وحسب تصريحاتهم فالأمر يرجع إلى رداءة المسالك الطرقية بالأزقة مع ضيقها، وتشتكي 28,30 % من انتشار التلوث وتفشي الروائح الكريهة في بعض الأحياء كحي الأمل، كما أن 25,80 % يعانون من ضعف التجهيزات واختناق قنوات الصرف الصحي في بعض الأحياء بسبب قدمها وتدهورها،

و15,80 % ترجع الأمر إلى تنامي السكن العشوائي الذي يشوه جمالية المدينة.

*** مظاهر الترييف بمدينة بن جرير**

رغم المجهودات المبذولة من أجل القضاء على السكن غير اللائق بكل أنواعه، يبدو أن المجال الحضري لم يتخلص بعد من بعض المظاهر الشاذة التي ترتبط بالسكن، فهذه الظاهرة المخالفة لقوانين التعمير، تساهم في تشويه المظهر الجمالي للمدينة. إذ ترى 60,80 % من الساكنة المستجوبة بأن المدينة تعرف انتشارا كبيرا للسكن العشوائي في بعض الأحياء التي سبق ذكرها ولازالت مظاهر الترييف واضحة للعيان.

صورة رقم 4: سكن عشوائي بحي الشعيبات

المصدر: التقاط شخصي 2020

وكما يظهر من الصورة، تعرف أحياء مدينة بن جرير انتشارا كبيرا للسكن العشوائي نموذج حي الشعبيات، ولا يتوقف الأمر عند هذا الحد، فبعد إلحاق العديد من الدواوير إلى المجال الحضري (دوار ولاد بن براهيم، دوار النواجي) أضفى عليه ذلك طابعا ريفيا، فضلا عن تشويه صورة المدينة التي أصبحت موسومة بعدم الانسجام.

*** وضعية المساحات الخضراء**

يساهم تنوع المساحات الخضراء ونوعية الحدائق والمنتزهات وطريقة معالجة جوانب المدينة في جاذبية وديناميةالمدينة، إن وجود شبكة خضراء متنوعة وجيدة هو عنصر أساس في تحسين صورة المدينة.

إن مدينة بن جرير من بين المدن التي تسعى إلى تمييز نفسها من خلال بيئة حضرية باعتمادها على مخطط أخضر يهدف إلى تحسين إطار عيش المواطنين من خلال الاهتمام بالمساحات الخضراء، إلا أن هذا لم يكن كافيا على الإطلاق فالمدينة يمكن اعتبارها من المدن التي تعاني من نقص في المساحات الخضراء؛ حيث تعتبر هذه الأخيرة الحلقة الأضعف في المشهد الحضري إلى حد الآن.

ولهذا يظهر جليا أن أكثر من نصف الفئة المستجوبة تصف حالة المساحات الخضراء بالضعيفة والسيئة (54 %)، وهذا يؤكد بالملموس ضعف المجهودات المبذولة في توفير وتهيئة هذه المساحات رغم قلتها، كما عبرت على التفاوت الحاصل في توزيعها في مناطق دون أخرى، وعبرت 37 % من المستجوبين على أنها حالتها متوسطة، و7 % قالت بأنها جيدة، أما النسبة المتبقية 2 % فلم تعبر عن رأيها.

خريطة رقم 3: توزيع المساحات الخضراء بمدينة بن جرير

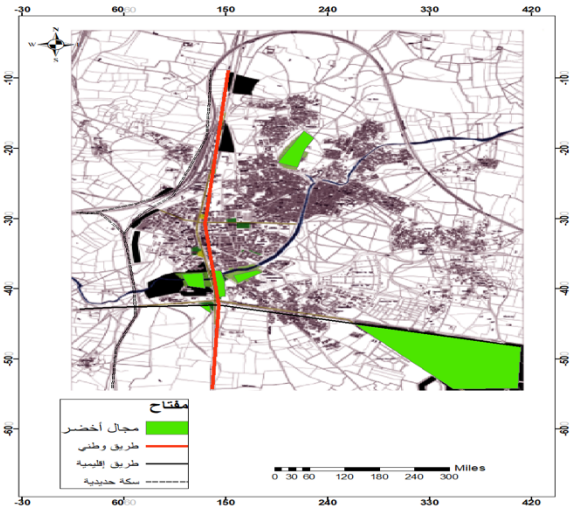

المصدر: إنجاز شخصي 2020.

وتأكيدا لما سبق فالخريطة تبين بالفعل خصاص كبير في عدد المساحات الخضراء، وتركزها الشديد، وخاصة على طول الطريق الوطنية رقم 9 وبالحاضرة الفوسفاطية (حي مولاي رشيد)، هذا الواقع يدعو إلى التعجيل بتزيل توجهات المخطط الأخضر حتى تستطيع مقتضياته التلاؤم مع مشروع المدينة الخضراء، ومعايير التنمية المستدامة، وحتى يتحقق الانسجام المفقود بين المدينتين.

*** خاتمة**

يمكن القول بأن نجاح الاندماج الحضري في المدن المتوسطة، لا يتم بالاستباق نحو وضع استراتيجيات تحاول أن تكسب رهانات التنمية المستدامة، خاصة مشاريع إنجاز المدن الخضراء التي تحترم العديد من المعايير ذات الطابع العالمي، في مدن لا تزال غير قادرة على احتواء هذا النوع من المشاريع الذي يتطلب بيئة ومناخ مناسبين، وهو الأمر الذي يسمح بوجود مفارقات مجالية صارخة تقوض من أهمية تلك المشاريع، وإنما ذلك يتحقق في مجالات تتوفر على بنيات استقبال تتوافق إلى حد ما مع أهداف تلك الأخيرة عمرانيا واجتماعيا واقتصاديا.

*** نتائج الدراسة**

حقيقة أن هذا التحليل يقربنا بشكل كبير من بعض الإشكالات التي تعاني منها مدينة بن جرير، رغم توفرها إمكانيات هامة التي يمكن أن تجعل منها قطبا اقتصاديا على المستوى الجهوي والوطني، مساهمة بذلك في هيكلة محيطها الإقليمي، إلا أن هذا لا يخفي وجود اختلالات تعيق تحقيق التنمية الترابية في هذه المدينة المتوسطة الحجم. غني عن البيان، أن وسائل التخطيط العمراني تعتريها صعوبات كثيرة تحيل دون الوصول إلى أهدافها المسطرة، والتي تتجلى في عدم قدرتها ومحدوديتها في الاستجابة للتحديات الآنية والانتظارات المستقبلية.

ومن المعلوم أن المدينة تتميز بوجود المدينة الخضراء محمد السادس، من أكبر المشاريع على المستوى الإفريقي، ولكن لم يستطع لحد الآن الاندماج مع مكونات المدينة و لم يشفع وجوده في رقي المدينة وتحسين مشهدها العمراني الذي مازال يعرف مفارقات وتمايزات بين مكوناته، فالعديد من الأحياء داخل المدينة تفتقر إلى أبسط شروط العيش الكريم من تجهيزات وبنية تحتية جيدة، ومرافق عمومية تلبي حاجيات ساكنة يتزايد عددها من حين إلى آخر. كل هذه الإشكاليات تثير لدينا بعض الأسئلة، هل المدن المتوسطة قادرة بالفعل على هيكلة التراب إقليميا وجهويا؟ وإذا كانت هذه المدن تعاني من اختلال هل بإمكانها أن تلعب دور التوازن وتقديم البدائل التي أصبحت مفقودة في المدن الكبرى؟

*** توصيات الدراسة**

١- إعادة النظر في وثائق التخطيط العمراني التي يجب عليها أن تعمل على انسجام مكونات المدينة، وذلك من خلال توزيع عادل للمرافق الحيوية والتجهيزات الأساسية والمجال الأخضر؛

٢- تحسين المشهد الحضري القائم والقضاء على مظاهر الترييف في كل أحياء المدينة؛

٣- محاولة دمج المدينة مع مشروع المدينة الخضراء.

*** المراجع**

أولاً- المراجع العربية

غازي رشيد، خنساء، ومدلول مصطفى علي. (2018). الإدماج الحضري. مجلة المثنى للهندسة

والتكنولوجيا. قسم الهندسة المعمارية. الجامعة التكنولوجية. عدد 6.

بن غالية، وليد، وبلفتحي كريمة. (2017). إعادة الهيكلة والإدماج الحضري للأحياء السكنية الجديدة بمدينة القسنطينة. بحث لنيل شهادة الماستر. جامعة العربي بن مهيدي أم البواقي. الجزائر.

قابوش عبد اللطيف. (2005). تحديد مفهوم المدن المتوسطة في الجزائر – حالة شمال شرق الجزائر –. مجلة العلوم الانسانية عدد 23.

أبو رمان ممدوح، والعاني محمد جاسم. (2005). نظريات وأساليب في التخطيط الإقليمي. دار الصفاء للنشر والتوزيع.عمان. ط1.

ثانياً– المراجع الأجنبية

Lakhal, A. (2013). La Dynamique De LA Ville Moyenne Marocaine. Cas De LA Ville De Laayoune. Thèses Pour L'Obtention De Doctorat En Economie.Université Ibn Zohr. Faculté Des Sciences Juridiques Economiques Et Sociales. Agadir.

Santamaria,F. (2014) . "Les Acquis De La Recherche Géographique Sur Les Villes Moyennes ." Revue Pour Mémoire, N°13.

Santamaria, F. (2000). La notion de" ville moyenne" en France, en Espagne et au Royaume-Uni. Annales de géographie. Armand Colin.

Scarwell, H. & Leducq D. (2018). "ville verte et nouvelles tendances de la production urbaine au vietnam." riurba. Revue internationale d'urbanisme. N6.

Mallet J. (2012). Les villes vertes : analyse de leurs réalisations et proposition de recommandations pour leur développement. Centre universitaire de formation en environnement université de sherbrook. Canada.

Kasdallah N. (2013). Dynamiques d'Urbanisation Des ville Intermédiaires au Maghreb (Algérie, Maroc Et Tunisie) : Effet chef-lieu et perspectives De Développement. Thèse De Doctorat De Géographie. Université Cergy-Pontoise.

Projet De La Ville Verte Mohamed VI Benguerir. Agence Urbaine D'El Kelâa des Sraghna.